خصوصيـــــة ذكـــر الـــــواو وتركها فـــي الجمـــــلة الحالـــية دراســـــــــة فـــــــي الجانـــب الدّلالـــــــي

د. هُـــدى محمّـــد قـــريرة ـ كلية اللغات ـ جامعة طرابلس .

المُقدّمـــــة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين ، وبعـــد :

فالـــــواو حـــــرف من حـــــروف العربية ، ولا تكاد تجد جملة تصاغ وتكتب وتنطق إلا وحرف من الحروف العربية داخل في التركيب والصياغة ، ولا أعني الحروف المكونة للكلمات فهذا مما لاشك فيه ؛ ولكن أعني الحـــــروف التي تأتي رابطة بين الجمل والكلمات ، وتـــــؤدي وظائف وتعطي دلالات ، وهـــذه الحروف منها ما هو عامل فيما بعده ويعطي معنى مثل : حروف الجـــــر ، والحروف الناسخة ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر ، ومنها ما هو غير عامل فيما بعده ؛ ولكن يعطي معنى دلاليا في التركيب والسياق اللغوي ، والحـــــرف الذي هو المرتكز الرئيس في هذا البحث الموجز هو حرف (الواو) .

فالواو حرف مفرد يدخل التركيب ويشارك في الصياغة قد يكون عاملا محدثا أثرا إعرابيا فيما بعده كأن يكون للقسم ويعطي ـ أيضا ـ معنى ، وقد يكون غير عامل ولكن له وظيفة في السياق كأن يكون للحال ، فـ (واو الحال) تعطي دلالات معينة يحددها السياق سواء أكانت الواو مذكورة في السياق أم غير مذكورة ؛ إذ أن الأصل في الكلام الذكر ، وقد تحذف بعض الكلمات لأسباب ودواعٍ، وأسرار بلاغية يقتضيها الحال والمقام ، وتحديدا ســـيتم ـ إن شاء الله ـ في هذا البحث دراســـة واو الحال والجملة الحالية .

أهم المصادر والمراجع في هذا البحث هي :

دلائل الإعجاز :عبد القاهر الجرجاني ، وشرح دلائل الإعجاز : محمد إبراهيم شادي ، ومعاني النحو : فاضل السامرائـــــي .

منهـــج البحث:

المنهج المتبع هنا هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف الظاهرة ويحللها من منطلــق شواهــدَ قرآنيةٍ وشعريةٍ وجمل ، حيث إنـــي ركّـــزت الحديث في الناحية المعنوية النحوية (معاني النحو) وتحديدا الدلالة المترتبة على وجود واو الحال في الجملة الحالية وـ أيضا ـ ما يترتب من معنى عند تركها ، وهذا يندرج تحت معنى (الذكر والحذف) ، فذكرت الوظائف والدلالات التي تعطيها الواو انطلاقا من النص اللغوي الموجودة فيه ، ثم أن الواو تشكل رابطا بين صاحب الحال والجملة الحالية وذلك بوجود الضمير ، أو وحدها ، أو الضمير وحده .

وبعد ذلك جاء الحديث عن المعنى الدلالي المستنبط من وجود الواو مع الجملة الحالية، أو عدم وجودها مدعوما بسوق شواهدَ قرآنيةٍ، وأخرى شعرية ، وجملٍ ، وكان تركيزي على نقاط معينة يبرزها البحث .

خطة البحث :

جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين وخاتمة ، فالتمهيد: تضمن إشارة إلى الشروط الواجب توفرها في الجملة الحالية المبحث الأول ــ الرابط في الجملة الحالية (الواو والضمير) والأثر الدلالي من وجود الواو في السياق اللغوي . وفيه مطلبان : المطلب الأول ـ واو الحال والأثر الدلالي الذي يحدده السياق اللغوي ، والمطلب الثاني ـ الواو والضمير في الجملة الحالية . المبحث الثاني ـ المعنى الدلالي المستنبط من ذكر الواو مع الجملة الحالية أو حذفها ، وفي الخاتمة : وفيها رصد لِمَا تم التوصل إليه

التمهيد :

تأتي الحال مفردا ، وتأتي جملة وما يعنينا في هذا البحث هو مجيئها جملة ، ومجيئها جملة له شروط هي :

1ـ أن تكون خبرية .

2ـ أن تكون غير مصدرة بدليل استقبال كـ (السين ، وسوف ، ولن ، والجملة المصدرة بـ (إنْ) الشرطية).

3ـ أن تكون الجملة الواقعة حالا مشتملة على رابط يربطها بصاحب الحال ([1])

وقال عبد القاهر الجرجانـــي : " وأول ما ينبغي أن يضبط من أمــرها أنها تجيء تارة مع الواو ، وأخـــرى بغير الواو ، فمثال مجيئها مع الواو قولك : أتاني وعليه ثوب ديباج ، ورأيته وعلى كتفه سيف ، ولقيت الأمير والجند حواليه ، وجاءني

زيد وهو متقلد سيفه ، ومثال مجيئها بغير الواو: جاءني زيد يسعى غلامــه بين يديه ، وأتاني عمرو يقود فرسه ...".([2])

المبحث الأول ـ الرابط في الحملة الحالية (الواو والضمير) والأثر الدلالـــي من وجـــود الواو في الســـــياق اللغوي :

المطلب الأول ـ واو الحال والأثر الدلالـــي الذي يحدده السياق اللغوي :

لا بطبيعة الحال أن (الواو) لها معان ، والمَعْنَى المَعْنِي ـ هنا ـ هو أن تكون للحال، ومعنى ذلك أن تأتي بعدها جملة نحو : جاء زيد ويده على رأســـه ، وخرج زيد وعبدالله جالس ، وقام زيد قد خرج غلامـــه ، وتقدر تارة بـ (إذ) الظرفية وتارة (فـــي حال) ، وتكون في التقديرين للحال ؛ فحيث لم يأتِ بعدها ضمير في الجملة الواقعة حالا بها قدرت بـ (إذ) نحـــو القول: جاء زيد والشمس طالعة ؛ إذ الشمس طالعة ، ومنه قوله – تعالى - : (**يَغْشَـــى طَائِفَةً مِنْـــكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُـــهُمْ**) [آل عمران (154)] ([3])

وهذه الـــواو التي تكون بمعنى : (إذ) يسميها النحويون واو الابتداء ، والمعنى ؛ إذ طائفة فـــي هذه الحال ([4])، وجاء في تقدير ـ أيضا ـ في تقدير المعنى في الآيات؛ أي: يغشى طائفة منكم ؛ إذ طائفة في هذه الحال ، وهذه الواو الدالة على معنى الحال غير معـــراة من معنى الجمع ؛ إذ أن الحال مصاحبة لذي الحال ، وبذلك تكون قد أفادت معنى الجمع([5])، وجاء في التقدير كذلك ما نصه ـ تشبيها لها بـ (إذ) " يغشى طائفة منكم مهمة طائفة منكم أخرى أنفسهم في وقت غشيانه تلك الطائفة الأولى ... كما أن في قولك : (جاءت هند وعمرو ضاحك) في تقدير : جاءت هند ضاحكا عمرو وقت مجيئها ، حتى يعود من الجملة التي هي حال ضمير من صاحب الحال ..."([6]) ، ومرد الأمـــر في ذلك راجع إلى أن (إذ) منتصبة الموضع بما قبلها أو بعدها مثل الـــواو منتصبة الموضع في الحال ، وأن ما بعد (إذ) لا يكون إلا جملة كما أن ما بعد الحال لا يكون ؛ ولأجـــل هذا الشبه بين الحال والظرف ذهب الكسائي إلى أن نصب الحال إنما هو لشبهها بالظرف ،ويؤكد الشبه ـ أيضا ـ أنك قد تعبر عن الحال بلفظ الظرف كقولك : جاء زيد ضاحكا في معنى : جاء زيد في حال ضحكه ، وعلى حال ضحكه ، فاستعمالك هنا (في) و(على) يؤنسك بالوقت والظرفية ([7])

وكقول الشاعـــر:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمسُ طَالِعَةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

وإذا كان في الجملة ضمير يعود على صاحب الحال قدرت بـ (في حال) نحو القول : جاء زيد وقد أنهى عمله ، أو وهو يقود أخاه ؛ أي زيد يقود ؛ أي في حال قيادة أخيه ومنـــه قوله - تعالى - :(**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**) الإنسان (14) ، وقوله - تعالـــى - :(**لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُـــمْ يَطْمَعُونَ)** الأعراف (46).([8]) . وبناء على ما تقدم للواو دلالات يحددها السياق اللغوي ، وهـــي :

1ـ تكون بمعنى (إذ) ؛ أي للوقت الماضي كقوله تعالى :" إذ نادى وهو مكظوم " القلم (48)، ونحو : ما بالك وأنت تتكلم ؟ ؛ أي حين كنت متكلما .

2- وتكون ـ أيضا ـ للوقت غير الماضي نحو : سأزورك والسماء صافية .

3ـ قد تستعمل للدلالة على إن الحال بعدها أمر ظاهر ومعلوم نحو: كيف تهملها وهي ابنتك ، قال - تعالى- :(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ)** [**البقرة (214)**] ؛ أي : حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تكن هذه حالكم الظاهرة .

4ـ قد يـؤتـــى بها للدلالة على أن ما بعدها مستقر قبل الحدث المصاحب لها نحو: بعته وهو ملك ، ومنه قوله – تعالـــى - :(**وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)** [**البقرة (264)**] ، فالإخراج استقر وحدث قبل القتال.

5ـ قد يؤتى بها للاهتمام نحو : عبر النهر ولم يحرك يده ، وقفز خمسة أمتار وعلى ظهره حمل وفي يده ثقل ، ودخل على الأمير وبيده سيفه .

6ـ قد يؤتى بها فاصلة بين النعت والصفة نحو : رأيت رجلا عنده مال ، ورأيت رجلا وعنده مال ، ورأيت رجلا فرسه سابق ، ورأيت رجلا وفرسه سابق ، ومررت برجل أخوه مقرئ ، ومررت برجل وأخـــوه مقرئ ؛ عني الأولـــى أنك وصفت الرجل بأن أخاه مقرئ ولا يشترط بأنك مررت به في وقت الإقراء ، فقد يكون الأخ غير مقرئ وقت المرور وبذلك يكون معنى الأولى وصف عام ، أما الثانية فمعناها: أنك مررت به في حين أن أخاه يقوم بالإقـــراء فعلا ، وبذلك فهي تكون حالا ، قد يؤتى بها لإزالة التنصيص على الاستئناف كقولك : أقبل أخـــوك فـــرح ، وأقبل أخوك وهو فـــرح

فالأولى استئناف إخبار جديد نصا ، والثانية أزالت فيها الـــواو التنصيص على الاستئناف فكان ما بعدها يحتمل الحالية وهو الظاهر، ويحتمل الاستئناف أيضا.

قال - تعالى- :(**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِـنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُـونَ**) [الأنفال(5)] ، ولو حذفت الواو لكان استئنافا نصا ؛ ولكن ذكر الواو أزال التنصيص على الاستئناف وأصبحت الجملة تحتمل الحالية وهو الظاهر وتحتمل الاستئناف- أيضا- ، ويقال : هو يحـرف الكلام وأنه يعلم بذلك ، فالواو تحتمل الحالية والاستئنافية ، وحذفها ينص على الاستئنافية ، وكذلك لم يدخلها وهو يطمع ، ولم يأتني وهو طامـع ، فهذه تحتمل الحال ؛ أي : لم يدخلها طامعا ؛ إنما دخلها غير طامع وتحتمل الاستئناف فيكون المعنى أنه لم يدخلها ؛ ولكنه يطمع في الدخول، وحذفها ينص على الاستئناف.

8– أن يؤتى بها للتنصيص على إرادة الحال لا التعليل وذلك كقولك : جئته أنه كريم ، وجئته، وإنه كريم ؛ فالأولى تعليل للمجيئ ، والثانية معناها جئته وهذه حاله ؛ أي وقت هو كريم . قال - تعالى - **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)** [الأنفال (33)] ، ولو قال (ما كان الله ليعذبهم أنك فيهم) لكان المقصود به التعليل ؛ أي: بيان السبب ([9])

المطلب الثاني ـ الواو والضمير والجملة الحاليـــة :

القياس والأصل أن لا تأتي جملة من مبتدأ وخبر حالا إلا مع الواو ، وما جاء على خلاف ذلك يكون خارجا على الأصل والقياس ، ويحسن في الأساليب الفصيحة بضرب من التأويل مثل قولهم : كلمته فوه إلى في وحسن ذلك بغير الواو من أجل أن المعنى كلمته مشافهة له ، وكذلك رجع عوده على بدئه في قول من رفع على الابتداء حتى تكون جملة حالية من مبتدأ وخبر؛ حيث جاء من غـير واو ؛ لأن المعنى رجع ذاهبا في طريقه الذي جاء فيه ،وأما قوله :

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والكرم .

ففيه تركت الواو مع الجملة الاسمية (حاضراه الجود) على قلة ، وترك الواو يحسن مع تقديم الخبر حاضراه ويرجع هذا إلى قربه في المعنى من : وجدته حاضرا عنده الجود والكرم، فهذه حال مفردة وذاك خبر مقدم في الجملة الحالية، وقد اجتمعا في ترك الواو، والمبادرة إلى ذك الحضور مع ما فيه من تشويق لما يتمم المعنى ، بخلاف ما لو تأخر فقال: وجدته الجود والكرم حاضراه ([10])

وإذا جاءت هذه الجملة بعد هذه الواو لا ضير في أن تضمنها ضمير صاحب الحال أو لا تضمنها فالتضمين نحو قولك : (أقبل محمد ويده على رأسه) ،و(جاء أبوك وثوبه نظيف) ، وترك التضمين نحو قولك : (جاء زيد وعمرو ضاحك)، و (أقبل بكر وخالد يقرأ) ، والعلة في جواز استغناء هذه الجملة عن ضمير يعود منها إلى صاحب الحال ترجع إلى أن الواو أغنت عن ذلك بربطها ما بعدها بما قبلها فلم تحتج إلى ضمير مع وجودها ، وإن جئت بالضمير معها فجيد ؛ لأن في ذلك تأكيد ربط الجملة بما قبلها ، وأما إذا لم تذكر هناك واوا فلابد من ضمير ، وذلك نحو قـولك : (أقبل محمد على رأسه قلنسوة) ، ولو قلت : (أقبل محمد على عبدالله قلنسوة) مريدا بذلك الحال لم يجز؛ لأنك لم تأتِ برابط يربط الجملة بأول الكلام لا واو ولا ضمير يعود من آخر الكلام إلى أوله فيدل على أنه معقود بأوله . قال الشاعـــر:

نصف النهار الماء غامره ورفيقه بالغيب لا يدري .

والشاهد فيه قوله : (الماء غامره) يريد ، والماء غامره بتقدير الواو الرابطة في الجملة الاسمية الواقعة حالا. ([11]) ، وجاء أن (الماء) مبتدأ ، والخبر (غامره) ، والجملة حال من ضمير(نصف) العائد إلى الغائص ، والضمير الذي ربط جملة الحال بصاحبها في آخرها وهذا فلا شك في ضعفه وقلته ، وهذا على رواية نصب (النهار) على أنه مفعول به ، وأما على رواية رفعه فالجملة حال منه ولا رابط فتقدر الواو .[12] ، وجاء ـأيضاـ أن مجيء جملة الحال (المبتدأ والخبر) وهي قوله :(الماء غامره) من غير واو وهو قليل ومعناه : انتصف النهار ومازال الماء غامره لم يخرج ، وترك الواو هنا في هذا السياق رغم أنه قليل مع هذه الصياغة فإنه أنسب لحال القلق والتوتر ، ولو وقف الناطق بهذا البيت على (نصف النهار) لحظة ثم نطق بعده بـ (الماء غامره) ، لأشعر هذا الأداء الفاصل بين الجملتين بأن الثانية استئنافية وهو أولى ؛ لأن فيه مزيد إثارة وتتبع لحركة الاستشراف والترقب عند المخاطب.([13])

وقال شاعـــر آخـــر:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل .

وموطــن الشاهد فيه : أنه جعل الجملة التي هي (والطير في وكناتها) حالا مع خلوها من عائد إلى صاحب الحال ؛اكتفاء بربط الواو ، فهذه الواو وما بعدها في موضع نصب على الحال ([14]) ، وجاء أنه "... إنما ربطوا الجملة الحالية بالواو دون الجملة التي هي خبر المبتدأ فإنه اكتفى فيها بالضمير ؛ لأن الحال يجئ فضلة بعد تمام الكلام فاحتيج ـ في الأكثر- إلى فضل ربط، فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط ، أعني الواو التي أصلها الجمع ؛ لتؤذن من أول الأمــر بأن الجملة لم تبق على استقلال ، وأما خبر المبتدأ أو الصلة والصفة فإنها لا تجئ بالوا و ؛ لأن بالخبر يتم الكلام ، وبالصلة يتم جزء الكلام .والصفة لتبعيتها للموصوف لفظا ، وكونها لمعنى فيه معنى ؛كأنها من تمامه فاكتفي في ثلاثتها بالضمير.... قد تصدر الصفة والخبر بالواو إذا حصل لهما أدنى انفصال ؛ وذلك بوقوعها بعد (إلا) نحو: (ما حسبتك إلا وأنت بخيل) ، و(ما جاءني رجل إلا وهو فقير) ، وأما الصلة فلا يعرض لها مثل هذه الحال ، فلا ترى ـ أبدا ـ صدرة بالواو "([15]) ، وجعلت الواو الأصل في الربط بين جملة الحال وصاحبها وثار حديث عنها: متى تكون لازمة ، ومتى لا تكون لازمة في سائر أنواع الجمل التي تقع حالا من اسمية وفعلية ماضوية وفعلية مضارعية ، ولم يتحدث عن الضمير ؛ لأن الضمير إن كان في الجملة فبها ونعمت ، وتكون الجملة بذلك قد تقوت بوجود رابطين (الواو والضمير) ؛ ولكن إذا خلت الجملة من الضمير كان لابد من الواو ، وإلا خرجت الجملة عن كونها حالا فكانت الواو أصلا .([16]) ، وقال ابن مالك :" إن إفراد الضمير أقيس من إفــراد الواو ؛ لأن إفراد الضمير وجد في الحال ،وشبهها وهما الخبر والنعت ، وإفراد الواو مستغنى بها عن الضمير لم يوجد إلا في باب الحال ، فكان لإفراد الضمير مزية على إفراد الواو ".([17]) ، وقال : " وقد يستغنى بالواو عن الضمير وكذلك يستغنى بالضمير عن الواو إلا أن ذلك لم يكثر كثرة الاستغناء بالواو فجعل الواو أصلا في الربط "([18])

المبحث الثاني ــ المعنى الدلالي المستنبط من ذكر الواو مع الجملة الحالية أو تركها:

تقدم ـ آنفا ـ أن ذكر الواو مع الجملة هو الأكثر والأشيع وهو الأصل ، وتركها يكون قليلا نادرا وفي حكم العدول عن الأصل وفيه لطف وبلاغة ، ومن الأمثلة على ذلك القول : ما مررت برجل إلا له مال ، وما مررت برجل إلا وله مال .

فمعنى الأولى أنك مررت برجل ذي مال ؛ أي : غني ، وإنك لم تمر إلا برجل غني ، أما الثانية فمعناها أنك لم تمر برجل إلا حين يكون له مال ؛ أي : لم تمر به في وقت لم يكن له مال ، فالأولى نعت وهي صفة عامة ، أما الثانية فهي حال منتقلة .

ونحوه أن تقول : مررت برجل أخوه منطلق ، ومررت برجل وأخوه منطـــــلق. فمعنى الأولى أنك مررت برجل منطلق الأخ ، وانطلاقه قد يكون قبل المرور ، وأما الثانية فمعناه ؛ أنك مررت به في هذا الوقت، و- أيضا- تقول : مررت برجل فرسه سابق ، ومررت برجل وفرسه سابق، فالأولى قد يكون فيها السبق قبل المرور ، والثانية مررت به في هذا الوقت([19])

وهـــذه الأمثلة سيقت ؛ توضيحا للدلالة المترتبة على وجـــود الواو ، والدلالة المترتبة على عدم وجودها ، ويتبع ما تقدم من أمثلة توضيحية للفكرة المطروحة آنفا، زيادة توضيحها بشواهدَ شعريةٍ ، فمن ذلك الجملة قد دخلها (ليس) ، تقـــول : (قابلته وليس معه مال) فهذا هو الأصل والمعروف المستعمل ، ثم يأتي بغير(الواو) وفيه حسن كقول الشاعر:

إذا جـــرى في كفه الرشاء خلى القليب ليس فيه ماء

والشاهد فيه قوله: (ليس فيه ماء) ؛ حيث جاءت جملة الحال فعلها ماض منفي بـــ (ليس) من غير (الواو) ورغم قلة هذا في كلامهم جاء فيه حسن .

" وحكم الجملة المصدرة بليس ــ وإن كانت فعلية ــ حكم الاسمية في أن اجتماع الواو والضمير أو انفراد الواو أكثر من الضمير ؛ وذلك لأن (ليس) لمجرد النفي على الأصح ، ولا تدل على الزمان ، فهي كحرف نفي داخل على الاسمية ، فالاسمية معها كأنها باقية على اسميتها ..." ([20])

ومما يأتي فيه جملة الحال من غير واو وقوعها حالا بعقب مفرد ويكون في ذلك لطف وحسن ولو أريد جعلها حالا من غير أن يتقدمها ذلك المفرد لم يحسن نحو قول الشاعر:

والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم .

والشاهد فيه قوله : (برداك تبجيل وتعظيم) وهي جملة جاءت حالية ومن غير أن يتقدمها واو وقد حسن موقعها لمجيئها بعد حال مفردة مع ما بينهما من التمام والاقتران

، ولو حذفت الحال المفردة لذهب حسن الجملة ،فقوله : (برداك تبجيل) في موضع حال ثانية ، والحال الأولى (سالما) ، ولو أسقطت من البيت فيقال : (والله يبقيك برداك تبجيل) لم يكن شيئا .

ومما تأتي فيه جملة الحال من غير واوـ ويكون في هذا حسن ـ دخول حرف التشبيه (كأنما) عليها كما في قول الشاعـــــــر :

فقلت عسى أن تبصرني كأنما بني حوالي الأســـــود الحوارد

والشاهد فيه قوله : (كأنما بني حوالي الأسود) من غير واو وما حسن ترك الواو دخول حرف التشبيه (كأنما) عليها ، ولو لم تدخل أداة التشبيه وتأخرت إلى المشبه به فإن جملة الحال ـ آنذاك ـ لا تحسن إلا بدخول الواو فيكون التركيب (وبني حوالي كالأسود).([21]) ، وكذلك الفعل المضارع المنفي فيأتي بالواو ومن غير الواو وهو في كلتا الحالتين يكثر ويحسن وما يعضد ذلك قول الشاعر:

أكسبتْه الوَرِقُ البيضُ أبا ولقد كان ولا يُدْعَى لأب

والشاهد فيه : (ولا يدعى لأب) ؛ حيث وقع المضارع المنفي موقع الحال ؛ ولذا جاز المجيئ معه بالواو ، و(كان) تامة بمعنى وجد ؛أي : وجد غير مدعو لأب ، وهذه الواو لها دلالة معنوية في هذا السياق تتجلى في الإشعار بتعدد الأوصاف المقبحة للموصوف ، وكأنه يستأنف بالواو خبرا جديدا .

وقول الآخر:

أقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد

الشاهد فيه قوله : (وما ينهنهني الوعيد) حيث وقع المضارع المنفي موقع الحال ؛ ولذا جاز اقترانه بالواو ، وهذه الواو تشعر بالأسى على ما كان وما صار إليه حاله ؛ وكأنه يستأنف بالواو خبرا جديدا، ومجيئ المضارع من غير الواو يجسده قول الشاعر:

ثووا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر.

فقـــوله : (لا يريدون) جملة حالية في صياغة المضارع المنفي بلا واو ، وفي هذا حُسْن ، ويرجع حسنه إلى تلبس الثورة وطول المكث والبقاء بعدم رغبتهم في العودة .([22]) " وإذا انتفى المضارع بـ (لا) ... الأغلب تجرده عن الواو كالمثبت ؛ لأن معنى جاءني زيد لا يركب ؛ أي غير راكب فهو واقع موقع المفرد ، ودخول (لا) لا يغير الكلام ـ في الأغلب ـ عما كان عليه لكثرة استعمالها ...لكن مصاحبة المضارع المصدر بـ (لا) للواو أكثر من مصاحبة المضارع المجرد لها ؛ إذ ليس الحال في الحقيقة في نحو : لا يركب مشابها للمفرد لفظا ومعنى ، كما شابه في نحو : يركب ؛ لأن الحال في الأول :انتفاء الصفة فـ (لا) مع الجملة هو الحال ..."([23]) ويضاف إلى ما تقدم المضارع المثبت فجملة الحال ذات المضارع المثبت لا تكاد تأتي بالواو، فيأتي الكلام مستغنيا عن الواو ، وقد سمع : قمت وأصك عينه ؛ وذلك إما لأنها جملة وقد شابهت المفرد ، وإما لأنها بتقدير : وأنا أصك ، فتكون اسمية تقديرا([24])

وعلى ذلك قوله - تعالى - :(**وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ**) [المدثر (6)] ؛ أي : لا تمنن بما تعطى مستكثرا إياه ، أي : حالة كونك مستكثرا وهذا التفسير أقرب التفسيرات ؛لعمومه وانسجامه مع موقع الحال الذي يجعل الفعل متلبسا بفعل آخر ، وكأن في هـــذا نهيا على كلا الفعلين ؛ أي : لا تمنن ولا تستكثر ، وقوله - تعالى - : (**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَـــى الَّذِي يُؤْتِـــي مَالَهُ يَتَزَكَّـــى**) [الليل (17،18)] .

والشاهد في الآية قوله : (**يَتَزَكَّـــى**) ؛ حيث وقعت جملة حالية من غير الـــواو ؛ إشعارا بشـــدة تلبّس التزكـــي بالإيتاء ؛ وكأن الفعلين شـــيء واحد يقع في لحظة واحـــدة ، وقولـــه - تعالى - :(**وَيَذَرُهُـــمْ فِـــي طُغْيَانِـــهِمْ يَعْمَهُونَ**) [الأعراف (186)] ، فقوله : (يعمهون) جملة وقعت حالا غير مسبوقة بالواو وجاء فعلها مضارعا مثبتا ، وترك الواو فيه دلالة على شدة تلبس الفعلين .([25])

وقول الشاعـــر :

وَقَد عَلَوتُ قُتودَ الرَحـلِ يَسفَعُني يَومَ تَجيءُ بِهِ الجَـوزاءُ مَسمومُ

والشاهد فيه قوله : (يسعفني)جملة حالية فعلها مضارع مثبت وتركت الواو ، وكأنه قال : وقد علوت قتود الرحل بارزا للشمس ضاحيا .([26]) ، وقال عبد القاهر

الجرجاني :" ... فاعلم أن كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو ، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالا، ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبرا ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات تفسير هذا :أنك إذا قلت : (جاءني زيد يسرع) كان بمنزلة قولك : (جاء زيد مسرعا) في أنك تثبت مجيئا في إسراع ، وتصل أحد المعنيين بالآخر ، وتجعل الكلام خبرا واحدا ، وتريد أن تقول : جاءني كذلك ، وجاءني بهذه الهيئة ..."[27] ، ومما تذكر معه الواو تارة ، وتترك تارة أخرى الفعل الماضي وهو لا يقع حالا إلا مع (قد) مظهرة أو مقدرة ، فذكرها كثير شائع كقولك : (أتاني وقد جهده السير) ،وأما بغير الواو فكقول الشاعر :

مَتَـــى أرَى الصُّبْحَ قدْ لاحَتْ مخايِلُهُ وَاللَّيْلُ قدْ مُزِّقَتْ عنْهُ السَّرابيلُ

فقوله : (قد لاحت مخايله) جملة حالية فعلها ماض وقد تركت معه الواو ؛ وذلك يشعر بما يتمناه ،وهو سرعة تحقيق يتمناه ويصبو إليه من ظهور بشائر الصبح، وهو في معنى : متى أرى الصبح ظاهرا باديا متجليا وفي هذا إشارة إلى أن الحال الجملة عندما تأتي بدون الواو مثل الحال المفردة في شدة اتصاله بالفعل .

وإذا قيل : جاءني وغلامه يسعى بين يديه ، و رأيت زيدا وسيفه على كتفه فيكون المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء والرؤية ثم استأنفت خبرا ، وابتدأت إثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يديه ، ولكون السيف على كتفه ،وبذلك يكون المعنى على استئناف الإثبات ويُحتاج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو مثل الإتيان بها في القول : محمد غائب ، وعلي مسافر ، والصدق جميل ، والجهل قبيح . وتسمية هذه الواو (بواو الحال)لا يخرجها عن كونها مجتلبة لضم جملة إلى جملة ، وهي بذلك تشبه(واو الاستئناف النحوي)الذي يضم معنى إلى معنى ، ويربط جملة بأخرى .ويشبهها ـ أيضا ـ في هذا الربط (الفاء) في جواب الشرط نحو: **إن تأتني فأنت مكرم** ، فهي وإن لم تكن عاطفة فإن ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها ، وقد نزلت الجملة المتقدمة الذكر (جاءني زيد يسرع) ، و(قد علوت قتود الرحل يسعفني يوم) منزلة الجزاء الذي يستغني عن الفاء ؛لأن من شأنه أن يرتبط من غير ربط وهو القول: (إن تعطني أشكرك) ، ونزلت الجملة (جاءني زيد وهو راكب) منزلة الجزاء الذي ليس من شأنه

أن يرتبط بنفسه ،ويحتاج إلى الفاء كالجملة في نحو : إن تأتني فأنت مكرم ، فمعنى ما تقدم :أن واو الحال رابطة تربط بين خبرين وإن لم تسم عاطفة ، مثل فاء جواب الشرط ؛حيث إنها تربط بين الفعلين : فعل الشرط وجواب الشرط وإن لم تسم عاطفة.

ومنزلة الحال الذي لا واو فيه مثل منزلة جواب الشرط الذي لا فاء فيه من جهة الربط المعنوي الذي يغني عن الرابط الظاهري في كليهما، وكذلك منزلة الحال الذي جاء معه الواو مثل منزلة جواب الشرط الذي جاء بالفاء في حاجة الجملة الثانية إلى ما يربطها بالأولى ؛نظرا لانعدام قدرتها على الارتباط بنفسها ([28])

ويضاف إلى ما تقدم قول الشاعر:

فآبوا بالرماح مكسرات أبنا بالسيوف قد انحنينا

فقوله : (قد انحنينا) جملة حالية فعلها ماض مسبوق بـ (قد) ، وقد تركت معـــه (الواو) ؛للإشعار بشدة اقتران الحال بصاحبه حتى تكون اللقطة واحدة ، وفي الحال ذاته إشارة إلى قوة الضربات وشدة الطعنات ،وفيه ـ أيضاـ أن جملة (قد انحنينا) وهي في حال أنها جاءت حالية فعلها ماض مسبوق بـ (قد) ،وتركت معه الواو جاءت بعد حال مفردة وهي قوله (مكسرات) ولها دور في إتمام المعنى وتكميله.

وقول آخـــر :

يمشون قد كسروا الجفون إلى الوغى مبتسمين وفيهم استبشار

قوله : (قد كسروا الجفون) جملة حالية فعلها ماض مسبوق بـ(قد) من غير الواو وفي هذا دلالة على شدة التلازم بين الذهاب والمشي للقتال ، وكسر أغماد السيوف ، وهذا هو دأبهم من أول خروجهم ومشيهم([29])

الخاتمة:

فهذ ا بحث بـ : (خصوصية ذكر الواو مع الجملة الحالية أو تركها) دراسة دلالية . وفيها تم تركيز الحديث على الدلالة المترتبة من ذكر الواو مع الجملة الحالية أو تركها وقد خلص الحديث إلى ما يأتي :

1ـ واو الحال تشكل رابطا يربط بين جملة الحال ، وصاحب الحال بجانب الضمير في بعض المواضع ، أو حدها ، أو الضمير وحده ؛ ولكن تكاد تكون الواو الأكثر وجودا مع الجملة الحالية

2ـ الجملة الحالية بعد الواو ـ على الأغلب ـ تكون اسمية فقط على اختلاف ما بين النحاة في وجودها فعلية بدون تأويل لردها إلى الجملة الاسمية كما ورد في البحث .

3ـ هناك حروف عديدة متحدة في تأدية معنى عام مشترك وعميق وهو(الجمع والربط والضم) فـ (واو الحال) تشكل ربطا بين خبرين وهي بذلك تتحد مع (فاء الجزاء) التي تربط بين فعلين : فعل الشرط ، وجواب الشرط .

4ـ كثرت التسميات لـ (واو الحال) في بعض المصادر والمراجع فسميت بـ (واو الابتداء) ، و(الوا و الاستئنافية) ، و(شبيهة بالاستئنافية) ، و (واو الاستئناف النحـــوي) .

الهوامـــــــش:

1- انظر : شرح المقرب، ابن عصفور الإشبيلي،(ت 669هـ)، تأليف علي محمد فاخر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة،ط1، 1994م.، 1/ 543، 544.
2ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت471أو 474 هـ)، قـــرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر.، ص: 202.
3ـ انظر ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي (ت 702 هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا .، ص 417، 418.
4ـ انظر ، المقتضب، أبو العباس المبرد (ت285 هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليوب مصر، ط3، 2010م. المبرد ، 4/ 125.
5ـ انظر ، ســـــر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق علاء حسن أبو شنب، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت ص 182.
6- السابق ، ص 187.
7ـ انظر ، سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ص 187، 188.
8- انظر ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص 418.
9ـ انظر ، معاني النحو ، فاضل السامرائي ، 307/2،306،305.
10ـ انظر ، شرح دلائل الإعجاز، محمد إبراهيم شادي، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ط 1، 2010م. ص 286، 287،و ص 301
11ـ انظر ، شرح المفصل ، ابن يعيش ، 2/ 394، 395.
12ـ انظر ، شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، (ت 686 هـ)، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط2000،1م.، 2/ 83. الهامش.
13ـ انظر ، شرح دلائل الإعجاز ، محمد شادي إبراهيم ،هامش ص 286.
14ـ انظر ، شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، (ت643 هـ)، حققه وشرح شواهده أحمد السيد أحمد، راجعة ووضع فهارسه إسماعيل عبد الجواد عبد الغني.، 2/ 395.
15ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، 2/ 82.
16ـ انظر ، شرح المقرب ، ابن عصفور ، القسم الأول ، المنصوبات ، ص 545.
17ـ شرح التسهيل، ابن مالك، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبدالله الطائي (ت 672 هـ) تح، أحمد السيد سيد أحمد علي، د.ط، د.ت.، 2/ 308.
18ـ شرح الكافية الشافية، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك(ت 672 هـ)، تحقيق وتقديم عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط 1، 1982، 2/ 758.
19ـ انظر ، معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان الأردن ، ط1، 2000م.، 2/ 304، 305.
20ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، 2/ 85.
21ـ انظر ، شرح دلائل الإعجاز ، محمد إبراهيم شادي ، ص 295، 296.
22ـ انظر ، السابق ، ص 290 ، 291، 292.
23ـ شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، 2/ 87.
24ـ انظر ، السابق ، 2/ 85.
25ـــ انظر ، شرح دلائل الإعجاز ، محمد إبراهيم شادي ، ص 288 والهامش .
26ـ انظر ، السابق ، ص 287، 288 ، وص 297. والهامش .
27ـ دلائل الإعجاز ، ص 213.
28ـ انظر، شرح دلائل الإعجاز ، محمد إبراهيم شادي ، ص 293، و298.والهامش.
29ـ انظر ، السابق ، ص 294.